الفائت من شعر المتنبّ

والمتنبّ وولاية صيدا

بقلم أمين ظاظه

قال الشيخ ابراهيم اليازجي في «العرف الطيب» من كلام له على ما لا يوجد من أشعار المتنبّ في ديوانه (ص٦٥١): «على ان الكثير من ذلك ليس جيّد من جيد شعره، ولا فيه ما هو حقيق بأن يضنّ به». وهو كلام في غاية الصواب. فان هذه المقطعات والقصائد التي تروى للمتنبّ مما لم يُذكر في ديوانه، ليس الكثير منها في طبقة شعره. وأضف ان نسبة اكثرها اليه يعوزها التحقيق، ولكن المسألة تتعلق بالمتنبّ، وناهيك بمسألة تتعلق بالمتنبّ. هذا الذي اشتغل به خمسون واحدًا ونيّف من فحولة أهل العربية، والذي في كل يوم يرنّ له ذكرٌ وينتشر بريد. فكيف يغفل، اذن، جماعة التنقيب حتى الفتّ من فائت شعره، وهو على مزاله يهم في تاريخ الرجل، ممن جهات متعددة!.

أما كون الذي انتهى الينا من شعر المتنبّ في نُسَخ ديوانه المشتملة بالطبع ليس هو كل شعره، فلا يختلف في ذلك اثنان. قال البغدادي في «خزانة الادب» (٢: ١٣٩ طبعة دار المصور) ينقل من «إيضاح المشكل» لابي القاسم الاصفهاني: «واخبرني أبو الفتح عثمان بن جنّي ان المتنبّ اسقط من شعره الكثير وبقي ما تداوله الناس». وقال ابن نباتة في «سرح العيون» (ص ١٧ — طبعة بولاق): «وله — يريد المتنبّ — أشعار لم تدخل في ديوانه» الى آخر ما جاء في هذا المعنى.

وقد جمع الشيخ اليازجي في ذيل «العرف الطيب» طائفة من «الفائت» عثر على بعضها في بعض نسخ الديوان، وعلى البعض الآخر في تضاعيف كتب

كتب الادب (ص ٦٣٦) . إلا أنه أسقط «مرويات أخر» منها ما لا يجمل اثباته في هذه النسخة — يريد ما فيه خشٌ لوجه الادب — ومنها ما لم أجد فيه رواية خليقة بالذكر، فلم أكلف تحريره وشرحه» (ص ٦٥١) .

ثم أفرد الفائت بالتأليف الشيخ عبد العزيز الميمني، فأخرج «زيادات ديوان شعر المتنبي» وهو اول مؤلف مستقل في هذا الموضوع . وقد أحصى فيه صاحبه نيفاً واربعين قطعة، او قصيدة، نتفها على حدّ قوله، من اربع نسخ خطية من الديوان، أهمها نسخة الشيخ الشرواني في ايالة حيدر آباد الاسلامية، والنسخ الأخر : اثنتان في خانة جامع يومياي، وواحدة في خزانة حيدر اباد ومن طبعتين قديمتين من الديوان (سنة ١٢٥٧ هـ. و١٢٦١ هـ.) ومن كثير من الدواوين الادبية والمجاميع . وقد عوّل الاستاذ الميمني في الفائت على ما لم يجده في ملفّ شرح الكبرى .

ثم وضع الاستاذ البرقوقي في آخر شرحه على الديوان تذييلاً سابقاً فيه أبياتاً ومقطعات وقصائد من الفائت، عثرَ عليها في ذيل شرح الواحدي، وهي مما لم يذكره الواحدي، ولا الكبري، وضمّ اليها اكثر ما جمعه الاستاذ الميمني في كتابه .

ومن الفائت الذي نقله الاستاذ الميمني من النسخة الشروانية، ولم يوجد في نسخة خطية، ولا في طبعة قديمة او حديثة، أبيات على الحاء قالها المتنبي عندما ادعيت قصيدته «جللاً كما بي»، ومنها (ص ١٥) :

لكم الامان من الهجاء فانه فيمن يهجى الهجاء مديح !

قال الاستاذ الميمني في الحاشية على هذا البيت . «وله في المعنى» :

صغرت عن المديح، فقلت : اهجى كأنك ما صغرت عن الهجاء .

ومنه قصيدة في هجاء ابن حيدرة، هذا بعضها (ص ١٧) :

يا صاحب الجدث الذي شمل الورى بالجود، ان لو كان لؤمك جودا :
قد كنت انتن منك قبل دخوله ريحاً، واكثر في الحياة صديدا
واذل حجمةً، وأغيا منطقاً، واقل معرفةً، واقوى عودا
اسلمتَ لحيتكَ الطويلة للبلى، وثويتَ لا أحداً، ولا محمودا

ودرى الاطبة أن داءك قاتل ، حمق شفاؤك كان منه بعيدا

قال الاستاذ الميمني في تعليقه على هذا البيت الاخير . «له في المعنى : قالوا لنا : مات اسحق ، فقلت لهم : هذا الدواء الذي يشفي من الحمق» الى أن يقول شاعرنا في أولاد حيدرة :

سودٌ ، ولو بهروا النجومَ إضاءةً قل ، ولو كثروا التراب عديدا
شيء كلا شيء لو انكَ منهم في جحفل بجب ، لكنتَ وحيدا

وان قوله (شيء كلا شيء) هو من طرائفه المأثورة في التعبير . قال في قصيدته «لا افتخار إلا» :

ان بعضنا من القريض هراء ليس شيئاً ، وبعضه أحكامُ .

وقال في قصيدته «أعيا وأيسر ما قاسيت» :

وضاقتِ الارض ، حتى كان هاربهم اذا رأى غير شيء ظنه رَجُلا .

الى آخر ما جاء له في هذه الشعبة :

ومن الفائت ، وهو جواب عن كتاب (ص ٢٠) :

لئن حمَّ ، بعد النأي ، قربي ولم أجد من الوصل ما يشفي الفؤادِ من الوجد
ولم تكتحل عيناي منك بنظرة يعود بها نحس الفراق الى سعد
فلي لحظات في الفؤاد بقلة من الشوق ، تدنيكم كانكم عندي
اذا هاج ما في القلب للقلب وحشةٌ فرحتُ الى أمر التذكر من بعد

وأنك واجد ، ولا ريب ، ان روح المتنبي يطالعك في كل هذا ، على كونه ، في البالب فجًا ، جافًا ، نازلا عن مرتبة الجودة . الا ان هنا ديباجة لفظ ، وانصباب نفس ، والتفات ذهن ، اشبه ان تكون للمتنبي . دع ما رأيت في بعض هذا الفائت مما يتلاقى وبعض المحفوظ على معنى واحد ، بل على لفظ واحد ! .

هذا ، وقد قُيِّمَ لي من سنين الاطلاع في خزانة الفيكونت طرازي على نسخة خطية من شرح الواحدي لديوان المتنبي ، في أولها ، وفي آخرها ، كتابات كثيرة ، منها ما له علاقة بالديوان ، ومنها ما ليس كذلك . ومن تلك الخطوط

المثبتة في الصفحة الاولى ، ما ننقله هنا بلفظه :

« ديوان المتنبي وله شرح لابي زكريا » (كذا) . ثم : « صاحبه محمد بن محمد عفا عنه الكريم الاوحد » . ويتلو هذا كلمات غير مقروءة . ثم يجيء بعدها : « الله حي . من كتب أبي — وهنا كلمة غير مقروءة — رستم بن احمد الشرواني » . وفي الصفحة الثالثة ما هـذا بعضه ، بحرفه : « وله — اي للديوان - شرح نفيس للأقليلي » (كذا ، بالباء الموحدة) .

وان الشيخ ملتفتٌ ، في ما نظنُّ ، الى هذه العلاقة الشروانية بين نسخة الفيكونت طرازي ونسخة الشيخ الشرواني ، التي عليها عوّل الاستاذ الميمني : ويضاف الى ذلك ما ذُكر في « معجم المطبوعات » على بعض طبعات الديوان في الهند ، وهو مما يفتح على المسألة باباً آخر . قال هناك (ص : ١٦١٦) : « ديوان ابي الطيب المتنبي ، بعناية — اي انه طُبع بعناية — احمد بن محمد اليمني الشرواني . كلكته ١٣٢٠ هـ ١ ص ١٠٢ » . فهـا هنا ، كما ترى ، محلّ لتحقيق طويل ، ليس هذا وقته .

وقد وجدت في النسخة الطرازية جانباً من الفائت الذي جمعه الاستاذان الميمني والبرقوقي ، ووجدت ، فوق ذلك ، ابياتاً أربعة لم يظفرا بها ، وليست ، أيضاً ، من طغانات المتنبي . وهي مثبتة في آخر النسخة بخط قديم ، يخالف الخطوط التي فيها . قال الكاتب : « قال بعضهم : سمعت ابا علي البلخي يقول : سمعت بعض بني اسد يقول : آخر ما سمعناه من أبي الطيّب ، عند محاربتنا اياه ، ينشد :

كان الزمان يغرني بامانه فاذاقني المكروه من حدثانه
فاذ الحذير من الزمان لكل من امسى واصبح واثقاً بزمانه .

وقال بعد ايراد هذين البيتين :

«أنشد ابو جعفر العرايبي (كذا) قال : انشدنا ابو الحسين الياسمي ، قال: انشدني المتنبي لنفسه بفارس :

دنا ، ودنا ، حتى إذا ما أتته نأى ، ونأى ، حتى لم يكن أصلا
وقد كان شغلاً للفؤاد دنوه فلما نأى ، زاد الفؤاد به شغلا .

وما دمنا في الكلام على الانف من شعر المتنبي ، يحسنُ ان نستطرد الى

مسألة اخرى ، تتعلق بترجمة حياته . وهي ايضاً مما لم يخض في خبره ، بعد . وجدت في « الخزانة » للبغدادي نصاً ، لا يحتمل التأويل ، على اسم العمل الذي كان المتنبي يلتمس من الاخشيدي ان يقلده في بعض الاطراف اللبنانية ، والذي لمح في كافوريّاته اليه غير مرة ، كقوله في قصيدته « أغالبُ فيك الشوق »:

اذا لم تنط بي ضيعة ، أو ولاية فجودك يكسوني ، وشغلك يسلبُ !

وكقوله في قصيدته « كفى بك داء » :

وغير كثير أن يزورك راجل ، فيرجع ملكاً للعراقين ، واليا . . .

قال البغدادي (٢ : ١٣٩) ، ينقل من كتاب « ايضاح المشكل لشعر المتنبي » :

« وسمعت من قال : ان كافوراً لما سمع قوله — يريد المتنبي — اذا لم تنط بي ضيعة (البيت) يلتمس ولاية صيدا فاجابه : لا أجسر على توليتك صيدا ، لانك على ما أنت عليه تحدثك نفسك بما تحدث ، فان وليتك صيدا ، فمن يطيقك !؟ » .

واذا انت علمت ان ابا القاسم الاصفهاني ، صاحب « ايضاح المشكل » هو ممن عاصروا ابن جني ورووا عنه (الخزانة — ٢ : ١٣٧) ، وان ابن جني كان قد قرأ ديوان المتنبي على صاحبه (وفيات الاعيان — ١ : ٣١٢ — الطبعة الاولى) وقال فيه المتنبي (الاعلام — ص ٦٢٤ في مادة عث ، ينقل من إرشاد الاريب) :

« ابن جني أعرف بشعري مني » رأيت ان رواية البغدادي عن الاصفهاني ، في مسألة ولاية صيدا ، لا يعترض في صحتها شبهة .